٩

الحل الواقعى

يخطئ من العرب من يطلب من مسئول أو سياسى يهودى إسرائيلى أن يُعنى بمصالح العرب أو أن يحقق لهم أهدافهم ، كما يخطئ من اليهود من يطلب من مسئول أو سياسى عربى أن يهتم بمصالح الإسرائيليين أو أن يساعدهم على تحقيق آمالهم . فمن الطبيعى أن يُعنى اليهودى الاسرائيلى بمصالح أمته ، وأن يهتم العربى بصوالح أمته . لكن من مقتضى العقل ، وحسن التدبير ، والنضج السياسى أن يدخل فى تقدير أى مسئول أو سياسى أن تحقيق مصالح أمته ، على المدى البعيد ، لا يمكن أن يحدث حقيقة إذا كان هناك تحيّف على حقوق الآخرين أو نفى للغير ممن يجاور أمته أو يرتبط بها أو يتداخل معها بأى شكل ، سياسى أو أمنى أو جغرافى أو اقتصادى أو ما إلى ذلك . ففى العصر الحالى أصبحت المصالح الدولية متداخلة ، ومصائر الأمم متشابكة ، وحيوات الناس مترابطة . من هذا المعنى ، ينبغى على المسئول أو السياسى اليهودى الإسرائيلى أن يدرك تماما أن مصلحة أمته لن تتحقق إلا إذا راعى بصورة معقولة مصالح العرب وأهدافهم ، كما يتعين على المسئول أو السياسى العربى أن يفهم حقيقة طبيعة الوجود الإسرائيلى ، والظروف الإقليمية والدولية المتعلقة به .

وفى إسرائيل ، يُجمع الشعب اليهودى ، بل ويساعده يهود العالم كله ، وغيرهم من المتعاطفين معهم أو المترابطين بهم بأعمال ومصالح

مختلفة ، على ضرورة استمرار دولة إسرائيل وصيرورتها إسرائيل الكبرى التى تكون أورشليم (القدس) عاصمة لها . ويرى حزب العمل أن أهداف إسرائيل تتحقق عن طريق إقرار سلام مع العرب ، يؤدى إلى تغيير خارطة الشرق الأوسط فلا يكون العرب فيها أمة متجمعة ، وإنما يتداخل فى هذه الخارطة عنصر غير عربى ، هو إسرائيل أولاً وربما تكون تركيا ثانيًا ، وتقوم العلاقة بين الرابطة الجديدة على أساس اقتصادى ، يمكن أن يؤدى إلى نوع من تقسيم العمل أو ضرب من التكامل حين تتخصص كل بلد فى مجال بذاته ، فتكون قوة العمل ، العمالة البشرية – من مصر ، ورأس المال من أموال النفط الخليجى ، والتقنية العالية من إسرائيل ؛ وهو تقسيم ينتهى إلى أن يكون لإسرائيل اليد العليا والعنصر الأهم فى التشكيل الجديد . ويرى تكتل الليكود أنه لا مبرر إطلاقا لأى سلام مع العرب ، لأنه سوف يكون سلامًا وَرَقيًّا ، يتمزق عند أول عائق ، ويمنع الإسرائيليين من التوسع فى الاستيلاء على باقى أرض فلسطين ، باعتبارها يهودا والسامرا القديمة ، كما أنه قد يخوّل العرب فرصة لمحاولة استرداد أراضيهم التى استُلبت منهم قبْلاً . وفى تقدير هذا الرأى ، أنه لا جدوى من إقامة علاقات اقتصادية مع العرب ، لأن أغلب البلاد العربية ذات اقتصاد هشّ ،وأن التعامل فى النفط باعتباره المنتج الأساسى لكثير من هذه البلاد يجرى فى النطاق الدولى ، كما أن النظام المصرفى العالمى – هو نظام يقع تحت سلطان اليهود – هو العامل المؤثر فى عملة وتجارة وقروض البلاد العربية ، وفى إيداعات الحكام والأفراد فى المصارف الكبرى بأوروبا وأمريكا .

كل من حزبى العمل وتكتل الليكود له رؤية معينة فى مسار الصراع العربى الإسرائيلى ، وفى حل المسألة الفسطينية ؛ وهى رؤية تنبنى على

المصلحة اليهودية أساسًا ، والتغاير بينهمـا اختلاف فى الأسلوب وتباين فى العمل ، لا يؤثر إطلاقا على الهدف الذى يضع الجميع عيونهم عليه .

يقابل ذلك أنه وقعت فى التاريخ العربى القريب أحداث تستوجب الدراسة وتقتضى التحليل . فالعرب أمة واحدة ثقافيا ، لا جنسيًا ولا عنصرًا ؛ أى أنهم أمة تجمعهم الثقافة العربية تحت مظلة مفردة ، رغم تعدد أصولهم من عربية قحطانية وعربية عدنانية وأعراب ، وفراعنة وأقباط وآشوريين وبابليين وفينيقيين وبربر ونوبيين .. إلى آخر ذلك ، وقد قامت حركة القومية العربية ، خلال الحرب العالمية الأولى ، لمقاومة الاحتلال العثمانى ؛ ثم اشتدت بعد ذلك فى مقاومة الاستعمار الغربى عامة ، لكن حدث منذ أواخر الخمسينيات أن أدت هذه الحركة إلى قسمة البلاد العربية ، نتيجة اختلاف نظم الحكم ، إلى ما سُمّىَ بالنظم التقدمية وما قيل إنه نظم رجعية . وقد كانت هذه التسمية ، بما صاحبها من حروب أيديولوجية ، من الأسباب الرئيسية التى أدت إلى حرب ١٩٦٧ ، حيث قامت بها إسرائيل الكبرى التى تحتل القدس وتعمل على أن تكون عاصمة لها ، واندلعت حرب ١٩٧٣ لرد اعتبار العرب من هزيمة ١٩٦٧ القاسية ، ولتقويض وضع « اللاحرب واللاسلم » ، بما يسمح بتحريك الأوضاع الجامدة وتحرير الأراضى العربية التى احتُلت بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ . ونتيجة لهذه الحرب فقد ارتفعت أسعار النفط عشرة أضعاف تقريبا (من ٤ دولارات فى المتوسط لسعر البرميل إلى ٤٠ دولارا فى المتوسط) مما أدّى إلى تراكم عوائد النفط لدى البلاد الخليجية ، حتى أن بلدًا كالسعودية حصل على تراكم نقدى فى عشر

سنوات يساوى ما وصلت إليه الولايات المتحدة فى مائتى سنة . وكان من نتيجة هذا الثراء الشديد ،والتراكم النقدى الفاحش ، أن اضطرب واقع المنظومة العربية ، واختل التضامن فيها ؛ ذلك أن الوحدة السياسية تقتضى مماثلة فى نظم الحكم ، ومطابقة فى النمَّط الإدارى ، ومقاربة فى عدد السكان ، ومشابهة فى الوضع الاجتماعى ، ومدانية فى الثراء الوطنى ، وموازنة فى الدخل الفردى ؛ وهو الأمر الذى تحقق – إلى حد ما – فى بلاد غرب أوروبا فساعد على قيام الوحدة الأوربية ، بينما اختلف بين الدول الخليجية والدول العربية الأخرى ، فباعد فيما بينها ، خاصة لما أوجده الاختلاف والتباين من مصالح تختلف وتتباين مع مصالح باقى الدول ، فضلا عن التخوف الطبيعى الذى ينشأ عادة بين الثراء والفقر ، وبين الجموع الكبيرة والقلة من الناس .

وعلى سبيل المثال فإن عدد السكان ، والناتج القومى فى كل من دول الإمارات المتحدة ، وقطر ، والكويت ، فى سنة ١٩٩٥ هو كما يلى :

دولة الإمارات المتحدة : عدد السكان ٢,٣٨٧,٠٠٠ مليون فرد ، والناتج القومى ٣٥,٤٧١ مليار (بليون) دولار أمريكى .

قطر : عدد السكان ٥٩٣,٠٠٠ فرد ، والناتج القومى ٧,١٠٦ مليار (بليون) دولار أمريكى .

الكويت : عدد السكان : ١,٤٦٩,٠٠٠ مليون فرد ، والناتج القومى ٢٧,٧٩٤ مليار (مليون) دولار أمريكى .

مفاد ذلك أن عدد سكان قطر أقل من عدد سكان حى شبرا بالقاهرة ،

وناتجهم القومى – من النفط أساسًا – هذا المبلغ الضخم ، وعدد سكان دولة الإمارات المتحدة أقل من عدد سكان مدينة الإسكندرية ، وعدد سكان الكويت أقل من عدد سكان محافظة متوسطة فى مصر .

المرجع (Middle East & North Africa Rebort)

أدى هذا العائد الثروى الضخم والعدد البشرى القليل إلى تضامن الدول الخليجية فيما بينها ، لرعاية مصالحها ، وحمايتها من أى عامل خارجى عنها ، فأسست لذلك مجلس التعاون الخليجى ، الذى كان له رد فعل مماثل فى غرب العالم العربى فأسست دول المغرب (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) الاتحاد المغاربى ، وهو أميل إلى ربط بلاده بأوربا الموحدة ، اقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا ، وبهذا تفسّخ العالم العربى إلى تكتلات إقليمية . بالإضافة إلى ذلك ، فقد حرصت دول الخليج من جانبها على تأكيد ثقافتها الخليجية ونشرها فى المنطقة كلها بدلاً من الثقافة العربية العامة ، مما كان له أثره فى إحداث انشقاقات ثقافية ، ومراجعات حضارية ، واتجاهات سلفية ، عوّقت المسيرة وعطلت الجهود التى تعمل صادقة لمواجهة التحدى الحضارى الإسرائيلى والغربى .

ثم وقعت حرب الخليج الثانية حين غزت العراق دولة الكويت وجاءت إلى المنطقة جيوش متعددة على رأسها الجيش الأمريكى لتحرير الكويت وحماية البلاد الخليجية الأخرى التى كانت مهددة ، وكان من شأن هذه الحرب ، أن استولت إيران (الملالى) على جزر « أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى » ، المملوكة لدولة الإمارات المتحدة ، ثم مساعدة إيران للمعارضة الشيعية فى البحرين ، وأدى ذلك كله إلى

أن تلتفت الدول الخليجية إلى أمنها هى ، الذى بات مهددًا ، وأن تعتبر هذه الأمن أوّلية أولى عن غيره من القضايا العربية الأخرى .

وإذا كانت حرب الخليج الثانية وما صاحبها من إجراءات دولية قد أدت إلى عزل العراق عن الساحة العربية (مؤقتا) ، كما أن الحصار المفروض دوليًا على ليبيا قد شل فاعليتها ، والسودان فى شبه عزلة لوضع النظام السياسى فيه وصلته بإيران ، ولابتداء عزله هو الآخر دوليًا لمساندته للإرهاب ؛ إذا كان ذلك أمر بعض الدول العربية ، فإنه لا يبقى فى مواجهة إسرائيل ، حقيقة وفعلاً ، إلا دول الطوق : مصر وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ، ولكل من هذه الدول سياسة واتجاه نحو إسرائيل تختلف عن سياسة واتجاه باقى الدول الأخرى من دول الطوق . ما بين مصر وإسرائيل سلام بارد ، ربما أدى إلى بعض التعاون على المستوى الحكومى ، لكنه لم يمتد إلى حالة من التطبيع بين الشعبين ، كما أن تقلقل الأوضاع السياسية يحول دون أن يصبح هذا السلام حارًا . وسوريا ولبنان لهما على التقريب سياسة واحدة تعمل على إيجاد بؤر قتالية مع إسرائيل لتدفعها إلى تنفيذ مبدأ « الأرض مقابل السلام » فتتخلى إسرائيل عن مرتفعات الجولان وعن الشريط الحدودى جنوب لبنان ، وفى سبيل ذلك ، وبأسلوب البؤر القتالية ، تعاونت سوريا مع إيران لمدها بالسلاح وللتأثير على الجماعات العسكرية الشيعية فى جنوب لبنان ، مثل حزب الله . وبدلا من أن يؤدى هذا إلى حل النزاع والوصول إلى سلام ، فقد عقّد الأوضاع وباعد من السلام ، لخشية إسرائيل والولايات المتحدة وكثير من دول غرب أوروبا والدول العربية من وجود نفوذ إيرانى فى بلاد الشام ، وعلى حدود إسرائيل ، وفى المسألة الفلسطينية . وزاد من تفجر الوضع وجود خلافات بين سوريا وتركيا على تنظيم المياه التى تنبع

من تركيا وتصل إلى سوريا ، واتجاه تركيا لبناء سدود على مياه الأنهار ، لابد أن تؤثر على حصص كل من سوريا والعراق من المياه ؛ هذا بالإضافة إلى شكوى تركيا من أن سوريا تُؤوى قادة حزب العمل الكردستانى وتساعد أعضاءه على القيام بأعمال تخريبية فى جنوب شرق تركيا ، حيث ترغب هذه فى إقامة السدود للنهوض بالمنطقة زراعيًّا وصناعيًّا . ونتيجة لهذا الخلاف بين تركيا وسوريا فقد عُقد بين تركيا وإسرائيل اتفاق عسكرى يعطى هذه بعض التسهيلات ، التى مهما قيل إنها قليلة أو تدريبية ، فهى ذات دلالة على وجود اتجاه لمحاصرة سوريا بين فكى كلّبتين (كماشة) من تركيا وإسرائيل ، للضغط عليها حتى تحل مشكلاتها مع تركيا أولاً (على الأرجح) فتحل إسرائيل مشكلاتها مع سوريا . وربما كان ما يدعو إسرائيل إلى التباطؤ فى حل الموقف مع سوريا ، أنها ترغب ابتداء فى قيام حالة من التطبيع بين شعبها والشعب السورى مخافة أن تتخلى عن الأرض (مرتفعات الجولان) ولا يحدث سلام حقيقى ، بل يحدث سلام بارد كما هو الحال مع مصر . وبين الأردن وإسرائيل تعاون استراتيجى حكومى كامل ، ربما تطور مع الأيام إلى محور أردنى تركى إسرائيلى ، رغم نفى الأردن فى الوقت الحاضر لذلك . أما فلسطين فالوضع فيها قلق وحرج ويتضمن قنابل موقوتة ، كما يحتوى على تساؤلات كثيرة . لقد كانت الضفة الغربية ، والقدس ، فى أيدى العرب منذ سنة ١٩٤٨ حتى ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ ، فما الذى منعهم من إقامة الدولة الفلسطينية فى هذه المنطقة وإعلان القدس عاصمة لها ؟ لماذا لم يبدأ التفكير فى إقامة هذه الدولة إلا بعد هزيمة ١٩٦٧ ؟ ولماذا لم تعمل منظمة التحرير الفلسطينية ، وغيرها من المنظمات ، بالتعاون مع الفلسطينيين المقيمين فى شتى أنحاء العالم ، وهم على درجة

عالية من الثراء ، على تجديد البنية الأساسية Infra Structuer فى الضفة الغربية ، فتركتها حتى صارت خرابًا ، وتركت الفلسطينيين ، الذين كانوا حتى نهاية الأربعينيات من أكثر الشعوب العربية تعليما وثقافة ، بغير تعليم جدّى عصرى منظم ، ودون إنشاء هياكل اقتصادية متطورة ، مما قضى على أكثر من جيل منهم بالبطالة والتشرد ، فاكتفوا بقذف الإسرائيليين بالحجارة ، بدلا من أن يعارضوهم بالعلم ويتحدّوهم بالحضارة ؛ بل ودفعت كثيرا من الفلسطينيين للعمل داخل إسرائيل نفسها لخدمة الاقتصاد الإسرائيلى والإدارة الإسرائيلية ، والمساعدة فى بناء المستوطنات اليهودية ، بحيث إن أرادت إسرائيل أن تضغط عليهم أغلقت فى وجوههم منافذ العبور للعمل فيها ، فتسوء حالة الفلسطينيين الاقتصادية ويجأرون بالشكوى من الحصار الذى تضربه عليهم إسرائيل ، وهو حصار يمنعهم من العمل داخلها وخدمة أهدافها ! ؟

كان من شأن هذا الوضع المتدهور وطنيا وإنسانيا ، وانهيار الاتحاد السوفييتى ، وزيادة مدّ الأيديولوجية الإسلامية ، أن انقسم الفلسطينيون أنفسهم بين فريق يؤيد السلام مع إسرائيل ، ويوافق على التفاوض معها ويعمل على إنشاء الدولة الفلسطينية مرحلة إثر مرحلة ؛ وفريق آخر يرفض ذلك كله ، ويصر على الشعارات القديمة بضرورة تدمير دولة إسرائيل واستعادة أرض فلسطين المغتصبة ، وبينما تُقام أبنية وأجهزة الدولة الفلسطينية فإن الفريق المعارض يمارس أعمالا عسكرية لتنفيذ أهدافه التى تضع عراقيل أمام السلطة الفلسطينية نفسها ، كما أنه يرتّب أعمالاً انتحارية داخل دولة إسرائيل ذاتها ، وفى القدس وتل أبيب ، مما أثار الإسرائيليين وفجر شعورهم الأساسى بعدم الأمن ؛ هذا فضلا عن استثارة كثير من الدول والناس –

فى كل أنحاء العالم – من أعمال رأوها أعمالاً إرهابية ضد مدنيين مسالمين ، وتابع هذه الأعمال ضرب شمال إسرائيل ، من أعضاء حزب الله بجنوب لبنان ، بقذائف ذات صوت عال وبغير فاعلية حقيقية ، هجرّت سكان قرية واحد (كريات شمونة) وأحدثت تلفيات محدودة وإصابات بسيطة ، فكان رد فعل إسرائيل عنيف بضرب الجنوب اللبنانى مما أدى إلى تهجير ٤٠٠,٠٠٠ مواطن من مساكنهم وإلى قتل كثيرين وحدوث مذبحة قانا .

بهذا يكون التطرف على الجانبين قد كسب الجولة وتسيّد الواقع ، المتطرفون اليهود يريدون فلسطين كلها أرضا لدولتهم ، يكون فيها الفلسطينيون أقلية ، لا صوت لها ولا وزن ؛ بينما أن المتطرفين الفلسطينيين يريدون تقويض دولة إسرائيل واستعادة كل أرض فلسطين . ومن الواضح أن كلا الاتجاهين غير عملى على الإطلاق ، بل وينظر إلى المستحيل ، خاصة فى الظروف الدولية المعاصرة ؛ وإن كانت أهداف اليمين اليهودى يمكن أن تتحقق جزئيا ، من خلال صيغ ملتوية وتحالفات انتهازية ، وفى ظل الوضع العربى المتهرّئ . وهكذا أدى التطرف إلى صعود كتلة الليكود اليمينية المتطرفة إلى كراسى الحكم ، وإعلان برامج متشددة ، لا يمكنها أن تتراجع عنها بسهولة ، ولا يُتصور حدوث تعديله لها فى المدى القريب ، إلا إذا تغيرت الظروف والأوضاع داخل إسرائيل نفسها . وعلى العكس من ذلك فإن نجاح حكومة الليكود فى تحقيق أهداف استقرار الأمن ، والتمسك بالأراضى المحتلة ، وزيادة المستوطنات ، وإحكام القبضة على القدس ، قد يؤدى إلى استقطاب كثير من اليهود لتأييدها .

الواقع العربى إذن يحول دون إجماع على رأى واحد أو الاتفاق على

خطة بذاتها ؛ ذلك أن لكل دولة سياسة خاصة بها ، تحمى مصالحها وتحقق أمنها ، ولا تتلاقى هذه السياسات عند هدف محدد أو لدى أسلوب موحد ؛ بل إنها فى كثير من الأحيان تتقاطع وتتصادم . ولربما تَحدُث لقاءات بين القادة ، وهى لقاءات قد تتسم بالود العربى وكرم الحديث التقليدى ، لكن ذلك غير كاف ولا يمكن أن يؤدى إلى فاعلية حقيقية وعمل جدى ، وعلى ما يقال عادة ، فإن العرب مثل جُوال من البصل ، كله رءوس . وبهذا يصعب الالتفاف حول قيادة واحدة أو اتباع أحد لغيره ، مهما يكن حكيم الرأى رشيد التصرف . وقد عملت العناصر السلبية فى الثقافة العربية — مما سلف بيانه — عملها فى اضطراب الموقف العربى ، فالتطرف من جانب ، والاستعاضة عن الفعل بالقول ، لهما أبلغ الأثر فى عدم التوسط فى التصرفات وفى عدم الالتجاء إلى العمل الفعّال اكتفاء بالحديث عنه والصراخ بشأنه ، هذا فى حين أن اليهود فى إسرائيل أخلاط متنافرة ، وربما كانت متنافرة ؛ لكن الثقافة اليهودية التى لا تنزع إلى التفاخر بل تعمل فى صمت ، والفهم الذى أدرك أن حقيقة الصراع مع العرب أنه صراع حضارى . هذا وذاك أوجدا قدرًا مشتركًا من التفاهم اتفق عنده الكثير وتلاشت منه التناقضات ، ففى الوسط الحضارى يمكن التفاهم على كل شىء ، وفى النهج البدوى أو البدائى لا يمكن الاتفاق على أى شىء .

وعلى الرغم من أن صراع العرب مع إسرائيل ، ومع الغرب ، هو صراع حضارى أساسًا ؛ وأن مصر بتكوينها البشرى المرشّد وماضيها الحضارى الطويل ، وتراثها الإنسانى المستنير ، هى المؤهلة أصلاً لقيادة العرب فى هذا الصراع الحضارى ، فإن بعض الجماعات وبعض النظم وبعض الأجهزة تعمل جاهدة على تشويه التاريخ المصرى القديم زعمًا بأنه

تاريخ وثنى ، دون دراسة له وبغير علم عنه ، مع أن هذا التاريخ مفخرة للإنسانية كلها ، بأى معيار وبكل مقياس ، فى الفكر الدينى وفى الأساس العلمى وفى النظام الخلقى . وهو رصيد ضخم للعرب كما هو كنز كبير لمصر . هذا فضلاً عما تتبعه هذه الجهات من تقويض الجهد المصرى للاستنارة منذ عصر محمد على ، وتعقّب رموزه وقادته لتحطيمهم ، واحدًا واحدًا ؛ وتلويث أعمالهم ، عملاً بعد عمل ، وهم بذلك يساعدون على فشل العرب فى معركة التحدى الحضارى التى لايمكن فيها النصر بفصل التاريخ وفصم الحقيقة ومنع العقل وقمع الفكر .

لقد أثبت العرب فى العصر الحديث ، ومن خلال المسألة الفلسطينية أنهم شعب الفرص الضائعة الذى لايعرف مصلحته إلا بعد فوات الأوان ، وشعب العقلية الغائمة التى لاتستطيع أن تحدد مقطع النزاع ؛ ذلك بأنهم يقبلون بعد الأوان ماكانوا قد رفضوه من قبل وفى وقته ؛ وأهم مثال على ذلك أنهم بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ أصبحوا يطالبون دوْما بعودة إسرائيل إلى حدود ما قبل ٥ يونيو ، دون أن يتنبهوا إلى أنهم بذلك يدينون أنفسهم ويثبتون عبثيتهم ، إذ يتساءل العالم : وفيم كان صراخ العرب قبل ٥ يونيو ؟ ولم كان ذلك ، حتّى انتهى الأمر إلى أن يطالبوا فقط بالعودة إلى الحدود التى كانوا عليها فعلاً قبل هذا التاريخ ! ؟ وقد رفض العرب مبدأ « الأرض مقابل السلام » مع أن قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى وافقوا عليه ينبنى أصلاً على هذا المبدأ ، وذهبوا إلى معارضة مصر ومقاطعتها ومحاربتها سنة ١٩٧٩ لأنها قبلت الصلح مع إسرائيل على أساس هذا المبدأ ، واستردت بالفعل أرض سيناء التى كانت قد احتُلت فى يونيو ١٩٦٧ ، ثم عاد العرب ، وأولهم السلطة الفلسطينية ، يطالبون سنة ١٩٩٦ بتطبيق هذا المبدأ .

العرب منذ البداية أخطأوا فى إدراك أساس الصراع مع إسرائيل ،

وأساءوا اتباع الأسلوب الأمثل فى حل هذا الصراع ، فلقد وقفوا عند اعتباره نزاعًا عسكريًا مسلحًا ، واكتفوا بالعبارات الإنشائية والمقالات الملتهبة والعروض العسكرية والصراخ العالى دون أن ينتبهوا إلى أن الصراع صراع حضارى فى الأساس والجوهر والوسائل ، وأن الكلام بغير انبعاثة حضارية خيانة للقضية ، كما أن أى صدام عسكرى وأى عمل إرهابى وأى فعل انتحارى ، لايكون ضمن إطار الصراع الحضارى ذاته ، لازمًا له ومفيدًا فيه ، يعمل على تصفية القضية لصالح الخصم ، ويقدم له أسباب النجاح الدائم وعوامل النصر النهائى .

لقد تداعت الأحداث حتى وصلت إلى وضع صعب وظرف خطر ، ساد فيه التطرف وغلب . والتطرف يغذى التطرف ، وبهذا سوف تعلو موجات التطرف على الجانبين وتشتد ، كل يريد الأرض والسلام ، وربما لن يهدأ أحد فى الأرض ولن يأمن أىٌّ بالسلام ؛ ذاك أن اشتداد التطرف سوف ينفى سبل التفاهم المتعقل وطرائق التفاوض العملى ، وينتهى إلى مواجهة حادة بين الأيديولوجية اليهودية (الصهيونية) ، والأيديولوجية الإسلامية (الإسلام السياسى) ينزلق بالنزاع إلى مفاهيم دينية ويستغل فى المواجهة مواضيع التراث المغلوطة ، فتشتعل حروب دينية تنتج صيغًا ومقولات وشعارات سوف لاتقتصر على الشرق الأوسط ، بل من المرجح أن تنتشر فى كل أنحاء العالم وتصبح قواعد مؤثرة للجماعات الإسلامية (ذات الأيديولوجية) . وفى المواجهة المترجحة سوف تلجأ الأيديولوجية اليهودية إلى أعمال حربية منظمة فى حين تلجأ الأيديولوجية الإسلامية إلى أعمال عسكرية عشوائية وأفعال فردية انتحارية ، فى أكثر من مكان . وإذ كانت الظروف الدولية والمفاهيم العالمية ترى فى الأعمال العسكرية العشوائية وفى

الأفعال الفردية الانتحارية أعمالاً إرهابية ، تربطها بالأعمال الإرهابية التى حدثت وتحدث فى مصر والجزائر والسعودية والبحرين وفرنسا والولايات المتحدة وغيرها – دون إجراء تمييز أو تحديد تفرقة بينها – فإن النتيجة سوف تكون سلبية على المسلمين وعلى القضية الفلسطينية لمدى طويل جدًا .

على العرب أن يعملوا متضامنين ، ما أمكن ، على محاولة إيجاد حلول سياسية للمسألة الفلسطينية ، ولأوضاع الأراضى المحتلة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ ؛ لكن عليهم أن يحددوا مقطع النزاع وفيصل الصراع بينهم وبين إسرائيل ، وأنه صراع حضارى فى الأساس والجوهر والوسائل ، فيعملوا جادين على مقابلة التحدى بالاستجابة له ، والالتحاق بالحضارة العالمية على أسس متكافئة ، ويوم ينجحوا فى ذلك فسوف تُحل كل مشاكلهم مع إسرائيل ، ومع الغرب ، تلقائيًا ، وبهدوء وفاعلية . وفيما عدا ذلك فسوف يظل الصراع عنيفًا حاميًا محتدمًا ، يكسب فيه الجانب الذى يعتصم بالحضارة ، ويخسر فيه الجانب الذى يكتفى بالكلام .